

التحديات الراهنة أمام اللغة العربية والدفاع عنها

حمزة علي أ. بي.

- محاضر، قسم العربية، كلية بي. تي. م.، برنتلنا، كيرلا

Email: ali.hamzath@gmail.com

إن العرب كانوا في الماضي أشد الأمم حرصاً على لغتهم، وأكثرهم اعتزازاً بها. لأن لغتهم من إحدى لغات البشر، صنفتها علماء اللغة ضمن أسرة اللغات السامية. وإن اللغة العربية باقية لا تموت ما بقي كتاب الله وسنة رسول الله (ص)، وما بقي أهلها متمسكين بهما ودافعين عنهما. ومن المفضل أن الشعوب الذين ينطقون باللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم. فمذ وقت بعيد حين رأى العرب اللحن (التكلم الخطأ في اللغة العربية) يدخل لسانهم بسبب اختلاطهم بالأعاجم، انبرى أعلام لغتهم يلتقطون لغتهم الفصيحة من أفواه أهل البادية من العرب الأفحاء، وأخذوا يدونون لغتهم الفصيحة على مراحل منذ منتصف القرن الثاني للهجرة في الرسائل، ثم الكتب فالمعجمات: معجمات الألفاظ ومعجمات المعاني، فتقدمت اللغة بتقدم العرب، ورافقتهم حضارتهم إلى بقاع جديدة في العالم، وأصبحت يوم ذاك لغة عالمية، وأقبل على إتقانها العلماء والمفكرون والأدباء والفلاسفة من غير العرب كما يقبل هؤلاء اليوم على إتقان لغة عالمية. وفي تلك الفترة ترجمت الكتب العربية الإسلامية من طب وفلك وفلسفة ورياضيات ودين وأدب إلى اللغات الغربية لتدرس في جامعات أوروبا، ولكن بعد مرور الزمن قد خسر العرب السيطرة بانحطاط سلطنة العرب وانحصرت العربية على ذاتها وحاول الأعداء أن يهينوها ما استطاعوا، متهمين إياها بالتخلف والجمود، وعدم القدرة على التطور ومسايرة العصر.

ومرت اللغة العربية بأزمة قوية منذ أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العشرين. ثم جاء من يحرص على اللغة العربية ويدافع عنها وهم أسسوا في

القرن الماضي "مجمع العلمي العربي" في دمشق (1919) ثم أسس "المجمع الملكي" في القاهرة (1932) ثم اتحد المجمعات في مجمع واحد باسم (مجمع اللغة العربية). ثم توالى قيام مجامع لغوية أخرى في عدد من البلاد العربية، فحققت لغتنا العربية انتصارات باهرة، حيث أصبحت لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة وفي المنظمات الدولية، وبدأت تنتشر في الدول الإسلامية وفي دول آسيا وأفريقيا، فاستطاعت مجامعنا اللغوية والعلمية بفضل جهود أعضائها على اختلاف اختصاصاتهم الذين نذروا أنفسهم، كأسلافهم الأوائل دفاعاً عن اللغة العربية، فأنجزت آلاف المصطلحات العلمية والألفاظ الجديدة، وأوجدت تسميات عربية لآلاف المبتكرات الجديدة، كما أنجزت عديداً من المعجمات العلمية واللغوية. فإن اللغة العربية لا تزال تواجه تحديات، تزداد يوماً بعد يوم.

بعض التحديات من الأعداء :

ومن هذه التحديات عزلة اللغة عن الاستعمال العام، حيث حلت اللهجات العامية محلها وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين العرب. ونتج عن ذلك نشوء مجموعة اللهجات المحلية التي تختلف من بلد آخر داخل القطر الواحد، فإذا كان عدد البلاد العربية اثنين وعشرين دولة، هي مجموعة الأعضاء في جامعات الدول العربية، فهناك اثنين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية. ولسنا نستطيع أن نتجاهل عاملاً خطيراً من بين عوامل عزل الفصحى، وهو استعمال المشتغلين بالتدريس في المدارس العامة في الدول العربية. وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في الآداب العامية (اللهجات العامية). ومنها اتهامها بالعقم والجمود والتحجر والقصور، وأنها لم تعد ملائمة لأساليب القرن الحادي والعشرين عصر الثورة المعلوماتية والإخراقات الفضائية ، فكان منا من نظر إلى تخلف العرب العلمي في عصر الذرة فأعلن أنه لا يرى لهذا سبباً غير تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة والتعليم العالی منها خاصة ، وآخر يُلحُّ في الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية

وغيرها بلغة غير عربية¹. ومن أهمها ما يروّج له أعداء الإسلام والعروبة الحاقدون من الدعوى إلى أن نستبدل بالفصحى اللهجات العامية واللغات المنطقية والإقليمية القومية الضيقة أو إحياء لغات قديمة ميتة، ولذلك الدعوة إلى اللاتينية بزعمهم أنها أكثر مرونة واختصارا في النطق. ومن تحديات الأعداء أن عدم تطوير اللغة العربية وعدم تحررها من أشكالها القديمة التي ظلت عليها منذ قرون ، خاصة أن ذلك أدى فعليا إلى صعوبة كبرى في استيعاب أهل الحضارات والأديان الأخرى لهذه اللغة أو تعلمها أو الاقتراب فكريا ممن يتحدث بها.

معارضة المثقفين العرب:

ولكن مثل هذه الدعاوى قد لاقت رفضا ومقاومة من المثقفين العرب، مما أياس هؤلاء الأعداء من تكرار محاولاتهم. لأن الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. فخاصية الاشتقاق من أعظم ما امتازت به العربية، فباشتقاق عملت على زيادة خزانها اللفظي والمعنوي كلما تقدم الزمن².

ومن الطريق لمعرفة سعة هذه اللغة ما نقله صاحب "المزهر" عن حمزة الإصتهاني: إن الخليل ذكر عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل من غير تكرار وهي اثنا عشر مليون بناء وخمسة أبنية وأربعمائة واثنا عشر(1235412)³. وذكر دامحمد نعمان الدين الندوي في مجلة الأدب الإسلامي : عدد الألفاظ المستعملة من اللغة العربية خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألفا واربع مائة لفظ (5099400) من جملة ستة ملايين وستمائة وتسعة وتسعين ألفا وأربعمائة لفظ (6699400)، بينما نجد الفرنسية لا تحتوي إلا على خمسة وعشرين ألف كلمة (25000)، والإنجليزية على مائة

¹ اللغة العربية إلى أين؟، د| عبد الصبور شاهين

² اللغة العربية : التحديات والمواجهات، الأستاذ| سالم مبارك

³ المزهر 74\1

ألف كلمة (100000) فقط.¹ وباعتبار سعة هذه اللغة قال الألماني فريتاغ: "اللغة العربية أغنى لغات العالم".

واللغة العربية أيضا تتميز بثبات الأصول ومرونة الفروع . فاللغات الأوروبية تتغير معاجمها بين الحين والحين . وعلى مرور الزمن تتغير أساسيا في مفرداتها وقواعدها ، بينما العربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها : كالقلب والنحت والتعريب وغيرها . ومن مرونته كذلك الظواهر الصوتية من إبدال، وإدغام، وإظهار، وإخفاء، وإشمام، وأيضا اسم المكان والزمان والسببية والحرفة والأصوات والمشاركة والآلة والتفضيل وغيرها. واللغة العربية لغة المترادفات ، إذ يكثر أن يكون للمسمى الواحد أكثر من مفردة لغوية واحدة بل قد تصل إلى العشرات بل المئات. ومن الجدير بالقول إن معاني " العين " تكثر على المائة ومعاني "العجوز" على الثمانين ومعاني "الكرم" على الثلاثين. قال ابن خلدون: جمعت "للأسد" خمسمائة أسماء، و"الحية" مائتين. وقد ذكر ابن "اللسيف" تزيد على ألف أسماء. لقد ألف اللغويون العرب مؤلفات خاصة بإبراز الفروق بين الألفاظ مثل: الفروق لأبي هلال العسكري وأدب الكاتب لابن قتيبة وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي والمخصص لابن سيده.

وعلامات الإعراب التي تتميز بها العربية دون غيرها من اللغات الأخرى والتي يحاول أعداء الإسلام أن يهدموها بدعوى (تبسيط النحو) صعوبة النحو....الخ). فإذا نظرنا إلى جملة (ما أجمل القمر...!!) تمكن أن تكون استقهما وتعبا وذما، وذلك لوجود علامات الإعراب التي تلحق بأواخر الكلمات وتميز الفعل من الفاعل ومن المفعول ونظام الإعراب هذا يدل على المرونة التي تتميز بها اللغة العربية. ومن أبرز مزايا هذه اللغة تأثيرها في لغات عديدة من اللغات العالمية واللغة الهندية. ففي الإسبانية مثلا يوجد ما

¹ لغة القرآن الخالدة بين مقومات الخلود ومظاهر الجمود- مجلة الأدب الإسلامي عدد 7 | 1995م ص73

يزيد على 6500 كلمة من أصل عربي. وان الكلمات الأسبانية المبدوءة ب"ال" هي من أصل عربي.

المراجع والمصادر

1. اللغة العربية : لغة مستقبل - د | ان . عبد الجبار
2. اللغة العربية إلى أين؟ - د | عبد الصبور شاهين
3. اللغة العربية والتحديات - عبد الفتاح الفاتحي
4. مجلة المزهري
5. www.aljazeera.net
6. www.isesco.org
7. www.zerovb.com
8. www.ploughbooks.co.uk